في المشروع:

في المشروع

كأي مواطن إسكندراني، يقطن في سيدي بشر، أشرت للسيارة الميكروباص التي ندعوها في الإسكندرية باسم (المشروع) بالإشارة المعتادة، تلك الإشارة اللتي هي قبضة اليد المحكمة على أربعة أصابع فقط تاركة السبابة فقط لا غير حرة طليقة تشاور للأرض، ولا تقتصر الإشارة على شكل اليد فقط، بل يجب أن تصحبها الحركة الرأسية السريعة فوق تحت فوق تحت كرأس الدجاجة التي تلتقط الحب من الأرض، أماء سائق المشروع برأسه بإيجابية معلنًا لي بدون صوت عن توافق وجهاتنا معًا إلى المكان نفسه وتوقف على جانب الطريق أمامي، وركبت .وبدأ قلبي يسأل عقلي السؤال التلقائي عند ركوبي المشروع(أقعد فين) منتظرة الإجابة في أسرع وقت ممكن قبل أن ينطلق السائق، ولمحت بعيني امرأة في أواسط العمر ترتدي ملابس شبه رسمية، لم أستطع أن أحدد لونها بالظبط، وذلك بسبب العتمة الجزئية في السيارة، تجلس على المقعد الأخير .وبجانبها مكان قد يكون ملائمًا لي .ولكن عقلي أعلن لقلبي بسرعة (ممكن تطلع ست لكاكة، وتعد بقى تصطادني كلام من محطة الرمل لسيدي بشر وتخنقني).

كان الكرسي الذي أمامها فارغًا تمامًا من أي ركاب ولكن عقلي قالي لقلبي مرة أخرى(كدا ممكن حد مجهول يجي يعد جنبك وإنتي ونصيبك بقى) .فاتجهت بعيني إلى المقعد الذي يقع أمام المقعد الفارغ، فإذا به رجل بدا لي أنه مريب، لم تلتقط عيني من ملامحه إلا ذاك الشارب، ويرتدي تيشرت مخطط بالعرض لم أستطع أن أحدد لونه أيضًا بسبب العتمة، فتمثل في وجداني تلقآئيًا أنه أحد أفراد عصابة القناع الموجودة في مدينة البط اللتي يقطن فيها عم بطوط .فقال عقلي لقلبي (لا .إبعدي عنه خالص .في احتمال يطلع متحرش) فسلمت أمري لله وجلست في الكرسي الموجود أمام المرأة اللتي إتهمها عقلي منذ ثواني بأنها ست لكاكة بدون مبررات .فإصبح الرجل الذي هُيِئ لي منذ لحظات إنه متحرش أمامي وأمامه كرسي فارغ .وجلست وتهيأت نفسيًا للانطلاق .ولكن المشروع لم ينطلق. ظل السائق يأخذ نفسًا من سجارته بشدة وعنف، وكأنه قد انتوى أن لن يخرج هذا النفس من صدره إلا على جثته .ولكن ما أن يدخل الدخان صدره حتى يطلق سراحه بسرعة وبسهولة تجعلني أتساءل لماذا أخذه بعنف ما دام إنه سيطلق سراحه في غضون ثوانٍ !!

وكان سبب وقوف السائق انتظاره لعائلة صغيرة مكونة من رجل شاب وزوجته الشابة وابنهم الذي لا يتجاوز الأربع سنين

وكانت العائلة تهرول بسرعة ناحية المشروع؛ لتركب وما أن باشروا بالركوب حتى صرخ الولد الصغير بصوت مزعج (أنا عاوز أقعد جنب الشباااااك) فوضعته الزوجة الشابة بجانب الشباك، وجلست هي بجواره ثم زوجها الذي أغلق باب المشروع فور ركوبهم، وبهذا يكون الكرسي الواقع أمام الرجل الذي هيئ لي إنه المتحرش ممتلئًا تمامًا وقبل أن ينطلق المشروع، جاء شاب مهرولًا؛ ليلحق بالمشروع، وفتح باب المشروع وأخذ يرمق الركاب بنظرة سريعة، وكنت من داخلي متأكدة من حديث النفس الذي يدور بين عقل الشاب وقلبه لاختيار المكان المناسب؛ ليجلس فيه، ووقع اختيار الشاب الأسمر الوسيم على الكرسي المجاور لي.

***

ما أن جلس الشاب وأغلق الباب خلفه انطلق سائق المشروع، وقد صادف زمن انطلاق المشروع زمن انتهائه من سيجارته المسكينة التي ألقى رفاتها من الشباك وأطلق سراح آخر نفس منها من نصف فمه المجاور للشباك، وقال سائق المشروع صاحب الجسم الممتلئ والملامح الشرسة في حدة (الأجرة4 جنيه)، فساد الصمت في المشروع، أو هكذا قد هيئ لي لأنه لم يكن هناك صوت قبل هذا الفرمان، ولكن وقع هذا الأمر علي لم يكن بالطيب، فأنا عادة أركب كل يوم المسافة نفسها ب ثلاث جنيهات فقط لا

غير، قال قلبي لعقلي (لأ ..مش من حق الراجل دا يتحكم فينا ..دا إحنا شعب عملوا بتاع كام ثورة كدا في التلت سنين إللي فاتوا ..والعالم انبهر بينا بتاع تلت أربع مرات الكام سنة إللي فاتوا ..مش إحنا إللي نطاطي أبدًا بعد ما دقنا الحرية وعرفنا أن لينا صوت ولازم يتسمع)

(إحم إحم) تنحنح الشاب الأسمر الوسيم الجالس بجواري وقال بلهجة حادة: (ليه يا ريس كدا؟ إحنا بنركب كل يوم ثلاثة جنيه بس) قلت في نفسي (أيوا كدا ...هو دا الكلام)

رد سائق المشروع ونبرة صوته توحي بالتحدي:

(والله الدنيا غلت والجاز غلى وثلاثة جنيه دول ما بقوش يعملوا حاجة ....ولا حتى أربعة جنيه)

ردت المرأة الجالسة خلفي موجهة كلامها للشاب الأسمر الذي بجانبي :

(خلاص يابني دا جنيه مش حاجة، خلي عجلة المشروع تدور بقى عشان نوصل بيوتنا)

رد عليها الشاب في أدب:

(الحكاية مش حكاية جنيه الحكاية حكاية كرامة وحقوق وواجبات، هو صحيح جنيه بس مش من حقه)

رد الزوج الشاب الجالس بجوار زوجته بلهجة شبه حادة وبصوت شبه عال موجهًا كلامه للسائق:

(يعني الدنيا دي غلت عليك لوحدك، ماهي غلت علينا إحنا كمان، مش إنت أصلا إللي تقول الأجرة كام من نفسك وتعليها وتوطيها براحتك الحكومة هي إللي بتقول وتحدد)

رد السائق بوقاحة:

(والله العربية دي بتاعتي يا جدعان وأنا حر نفسي إللي عاجبو أهلا وسهلا وإللي مش عاجبه ينزل، أنا ما بغصبش حد على حاجة)

رد الشاب الأسمر بعصبية: (لا يا ريس دي مش بتاعتك إنت فاهم غلط، إنت واخد رخصة من الحكومة وهي سمحالك تسوق هنا وتستنفع بيها تحت شروط عشان تخدمنا أولًا وإنت تستنفع ثانيًا فمش حقك تنزلنا)

وهنا لمعت عيني وغمرتني رغبة عميقة في معرفة اسم هذا الشاب، ولكن لم يدم اللمعان طويلا وتحولت عيني من على الشاب ومن حالة السهتان إلى حالة الحملقة والاشمئزاز، عندما صاح الرجل الشبيه بالمتحرشين وهو يضرب كفًا على كف : (إطلع يا ريس وسيبك من الواد دا ...دا شكله فاضي.. دور عجلك ورانا مصالح، فكك منه وخد الأربعة جنيه بتوعي أهم)

ووضع اتنين جنيه فضة في يد الزوج الشاب؛ ليوصلها للسائق، وتلته المرأة التي أصبحت متيقنة الآن من إنها لكاكة وقالت: (وأنا كمان يا أخويا خد الأربعة جنيه بتوعي ..عاوزة أروح بقى بلاش صداع ورانا عيال بنربيها)

ووضعت الأربعة جنيه الفضة في يدي، فناولتها للرجل الذي اقتنع عقلي بكونه متحرش؛ ليناولها للسواق، صاح الشاب الأسمر: (إيه يا جماعة دا؟؟ خلاص؟؟ بقيت أنا دلوقتي وحش؟؟ دا أنا عاوز أوفرلكو فلوسكم لعيالكو وأصون لكم كرامتكم دا حقكم)

ردت الست اللكاكة:

(إنزل روح شوف مشروع تاني يا أخويا تصونلهم كرامتهم، دا السواق دا رحمة وجميل، إنت متعرفش باقي السواقين بيعملوا إيه؟؟ دا في سواقين بيدفعوا الركاب5 جنيه .إسكت إنت صغير ومش عارف حاجة . السواق دا أحسن من غيرو)

ولمحت الزوج الشاب يهمس لزوجته فظننت إنهم بصدد الرحيل، ولكن وجدت الزوجة تحمل طفلها على قدميها وتتجه هي ناحية الشباك وتحرك زوجها بجانبها وأعطى السائق الأجرة للاثنين بدل ثلاثة في يده،

فكاد الشاب الذي بجواري يفقد صوابه بدون صوت، وقال في عصبية: (نزلني يا ريس على جنب، مش راكب معاك)

وكنت سأهم بالرحيل معه، ولكني مللت من تضييع الوقت وخفت أن أتأخر على موعدي في المنزل، وخفت إن أنا نزلت قد لا أجد ما أركبه مرة أخرى فأخرجت الأربعة جنيه، وأعطيتهم للمتحرش ليوصلها للسائق، وانطلق السائق وقام بتشغيل أغنية مزعجة من الأغاني التي لا أسمعها إلا في المشاريع وبصوت عال جدًا، وطبعًا لم يعترض أحد، ثم أخرج سجارة أخرى وأشعلها فامتلأ المشروع بدخان السجائر، فأخرجت سماعاتي الخاصة، ووصلتها بجهازي المحمول، واستمعت إلى الأغاني الخاصة بي لوحدي. قمت بفتح الشباك بجانبي محاولة أن أقنع نفسي إن العجلة دارت بسلام.